obeikandl.com

الفصل الرابع

العنــف

الفصل الرابع
العنف
Violence

تعتبر ظاهرة العنف من الظواهر القديمة في المجتمعات الإنسانية، فهي قديمة قدم الإنسان الذي ارتبط ومازال بروابط اجتماعية مع الوسط الذي يؤثر فيه ويتأثر به، ومما لا شك فيه أن السلوك العنيف أصبح حقيقة واقعية موجودة في معظم دول العالم، وبالتالي فهي ظاهرة نفسية اجتماعية بالدرجة الأولى، وانعكاساتها السلبية تؤثر على المجتمع بأثره. ويُعد مفهوم العنف من المفاهيم الشائعة في حياتنا اليومية، إلا أنه مازال من المفاهيم التي ليس من السهل التوصل إلى تعريف جامع مانع لها، ولعل السبب يرجع إلى تعدد الأبعاد والمتغيرات التي تشملها ظاهرة العنف، ونظراً لتعدد أنواع المعرفة العلمية التي تناولت هذه الظاهرة، وأيضاً لما لوحظ أن ما يسمى عنفاً إنما يختلف من مجتمع لآخر، ومن حضارة لأخرى فإن ما يبدو عنيفاً في مجتمع يُعد في حدود السواء في مجتمع آخر؛ حيث إن العنف يتعلق بنظام معايير المجتمعات.

وقد زاد الاهتمام بظاهرة العنف في المجتمعات العربية المعاصرة، وأصبح ضرورة أملتها الظروف والملابسات الاجتماعية والاقتصادية المختلفة التي مازالت تسهم في تأصيل مثل هذه الظواهر وإنتاجها، وهي تندرج ضمن قائمة الأفعال غير السوية،

obeikandl.com

وغير المقبولة اجتماعياً. ويبين سيد عويس (٢٠٠٢: ١١٨٠) أن العنف يحدث على مستوى الأفراد وعلى مستوى الجماهير. وقد يكون تلقائيا، أي لم يُخطط أو يُنظم من قبل، وذلك على عكس ما يصدر من سلوك العنف عن بعض الجماعات أو التنظيمات الاجتماعية المنظمة كالأحزاب أو الجامعات ...الخ وفي ضوء تعدد أنماط العنف، تتعدد تعاريفه أيضا، ومهما يكن من الأمر فهو سلوك عدواني، أي هو وليد الشعور بالعداوةً.

مفاهيم العنف:

بقدر معاينتنا للعنف في حياتنا اليومية المعاصرة، وتجليه في أشكال وأنساق متعددة لا يمكن أن يجهلها أحد، إلا أننا نواجه صعوبة عندما نقوم بتعريفه والكتابة عنه. فإذا كنا نتعرف عليه غالباً في تماهيه مع القوة واقترانه بما هو مادي وصارخ، كما هو الحال في الإيذاء البدني في حالات الاعتداء والحروب والصراعات التي نعرفها، إلا أن العنف أيضاً يمكن أن يكتسب أبعاداً شديدة الرمزية، عندما نفاجأ به في مجالات لم نكن نتوقعه فيها كالمجال الثقافي والاجتماعي والسياسي والإعلامي والنفسي...الخ.

في لسان العرب "لابن منظور" كلمة عنف مشتقة من المصدر (ع.ن.ف) وهو الخرق للأمر، وقلة الرفق به. ويعنف عنفاً وعنافة وأعنفه تعنيفاً إذا لم يكن رفيقاً في أمره، وأعنف الأمر أخذه بشدة، والتعنيف هو التعبير والتقريع واللوم. ويشير المعجم الوسيط (١٩٨٥: ٦٣٠) إلى كلمة العنف بأنها عنف يعتنف تعنيفاً وعنف استخدام القوة استخداماً غير مشروع أو غير مطابق للقانون، والعنيف هو ما يأخذ غيره بشدة وقوة.

ويعرف معجم أكسفورد Oxford العنف بأنه ممارسة القوة لإنزال الضرر بالأشخاص أو الممتلكات، وكل فعل أو معاملة تتصف بهذا تعتبر عنفاً، وكذلك المحاولة التي تميل لإحداث ضرر جسماني أو تدخل في الحرية الشخصية.

ob3eikandal.com

ومن الواضح أن الاشتقاق اللغوي لمفهوم العنف في الإنجليزية والعربية على السواء يرى أن العنف هو ضرب من السلوك الخارج عن المألوف بحيث ينتهك القواعد أو يأخذ الأمور بالشدة والقسوة. كما أن الاستخدام الاصطلاحي لكلمة "عنف" قد لا يلم بالمدى الواسع لاستخدام العنف الذي أصبح يشير إلى صور متعددة للعنف الفردي والعنف الجماعي، أو قد يشير إلى أبعاد مختلفة بين الهجوم المباشر والهجوم النفسي ... الخ.

ويرى أحمد عكاشة (١٩٩٣: ١٩٠) أن العنف هو أحد وسائل التعبير عن النزاعات العدوانية، والعنف هو ملاحظة اهتمامات الفرد باستخدام القوة والتهديد، والقوة عبارة عن عدوان مضبوط ومحكم محدد في الشدة له اتجاهه وهدفه الخاص، أما العنف فهو أحد وسائل التعبير عن النزعات العدوانية، وبذلك لا يمكن التنبوء بمجراه أو بدايته، ويتميز بتطرفه وأنماطه غير المنطقية، وهنا يمكن أن يختفي الهدف والمؤثر الذي فجر هذا العنف، فالسلوك العنيف عادة ما تكون دوافعه ضعيفة لأنه سلوك متكرر له طابع النزوة.

كما يرى فرج طه وزملائه (١٩٩٣: ٥٥١) أن العنف سلوك مشوب بالقسوة والعدوان والقهر والإكراه، تستثمر فيه الدوافع والطاقات العدوانية استثماراً صريحاً بدائياً كالضرب والتقتيل للأفراد، والتكسير والتدمير للممتلكات، واستخدام القوة لإكراه الخصم وقهره ... ويمكن أن يكون العنف فردياً (يصدر عن فرد واحد) كما يمكن أن يكون جماعياً (يصدر عن جماعة، أو هيئة أو مؤسسة تستخدم جماعات وأعداد كبيرة، على نحو ما يحدث في التظاهرات السلمية التي تتحول إلى عنف وتدمير واعتداء، أو استخدام الشرطة والبوليس للعنف في فضه للتظاهرات والإضرابات ...).

ويعرفه عبد الوهاب كامل (٢٠٠٣: ١٢) بأنه حالة نفسية تشير إلى ارتفاع حدة الغضب إلى درجة عارمة تدفع صاحبها للتهور بدون عقل لارتكاب الجرائم

والتصرفات الخارجة عن القانون. ويوضح أحمد زكي بدوي (١٩٩٣: ١٤٠) أن العنف هو استخدام القوة أو الضغط استخداماً غير مشروع أو غير مطابق للقانون من شأنه التأثير على إرادة فرد ما. كما يعرفه عاطف غيث (١٩٩٥: ١٩٢) بأنه تعبير صارم عن القوى التي تمارس لإجبار فرد أو جماعة أخرى، ويعبر العنف عن القوة الظاهرة حين تتخذ أسلوباً فيزيقياً مثل: الضرب أو الحبس أو الإعدام أو يأخذ صورة الضغط الاجتماعي، وتعتمد مشروعيته على اعتراف المجتمع به.

وفي ضوء ما سبق، يقدم الباحث تعريفاً إجرائياً للعنف بأنه: "السلوك الذي يقوم على استخدام القوة والتهديد للتعبير عن النزعة العدوانية لإيقاع الأذى بالآخر، وقد يكون موجهاً للإنسان أو الحيوان أو الممتلكات".

نبذة عن العنف:

إن الواقع التاريخي يكشف أنه كلما تقدمت المجتمعات كلما تحول العنف إلى وسيلة لتحقيق أهداف معينة من قبل الجماعات أو الأفراد، وتتنوع هذه الأهداف بتنوع الموقف الذي تتفاعل من خلاله الجماعة أو الفرد، فالعنف في بعض الأحيان وسيلة لتحقيق التفوق والتميز، وفي أحيان أخرى يعد وسيلة لتحقيق التكيف، وفي أحيانا ثالثة يعد وسيلة للمقاومة، وفي أحيان رابعة يعد وسيلة لتحقيق الهيمنة والضبط (أحمد زايد ، سميحة نصر، ١٩٩٦: ٨).

وقد اهتمت الفلسفة عبر العصور بهذه الظاهرة محاولة إبراز تلك القاعدة الذهبية لأي فكر فلسفي وهي الحوار الذي يقوم على التسامح الذي يؤدي بدوره إلى الإقناع والاتفاق المبني على البرهان والحجة، ومن هنا وجدنا إسهامات عديدة لنيتشة وماركس وسوريل وأيضاً لهيجل الذي تحدث عن الصراع حتى الموت، وميرلوبونتي وسارتر اللذين ربطا بين العنف والسياسة، وفرويد الذي يسم الإنسان بالعنف، ورينيه جيرار الذي نفى أن يكون العنف لدى الإنسان غريزياً ولكن وجده ذاتياً واجتماعياً.

والعنف كظاهرة تعكس الخلل والاضطراب الذي أصاب أنظمة المجتمع (الأسري، المدرسي، الأمني، القانوني، ...الخ) وبحيث فرضت نفسها كظاهرة اجتماعية ذات خطورة اجتماعية لا يمكن إغفالها. ولعل ما يضاعف من خطورة تلك الظاهرة التيسيرات التي تمنحها الحياة العصرية للشباب من المراهقين والتراضي في مواجهتها من جانب المختصين، وافتقاد هؤلاء المراهقين لمشاعر المسئولية الذاتية عن أفعالهم بالإضافة إلى أن هذه الظاهرة ارتبطت بمرحلة المراهقة، وفترة المراهقة هي المرحلة الثانية الحرجة من حياة الإنسان، وهي فترة يزداد فيها النمو الجسمي الانفعالي والاجتماعي للفرد، بحيث يصبح في الإمكان حدوث التغيير الفردي في معدل النضج.

ويرى حسام عزب (٢٠٠٢: ٤٤) أن أكثر مرتكبي مظاهر السلوك المضاد للمجتمع Antisocial behavior هم من المراهقين حيث تشتد وطأة هذه الممارسات التي تتضمن العنف داخل نطاق الأسرة والمدرسة، ففي المدرسة يظهر عنف المراهقين في صورة التعدي المتبادل بين الطلاب بعضهم البعض، وبين الطلاب والمعلمين، والاستهانة بمظاهر الضبط الخاصة بمظاهر اليوم الدراسي بالإضافة إلى تدمير محتويات المدرسة.

فحياة الناس مليئة بأنماط متعددة من العنف، حيث يمارسه الناس في مواقف الحياة المختلفة، ويقصد به – هنا – العنف المعنوي، أو ما يطلق عليه في أدبيات علم الاجتماع القانوني وسوسيولوجيا الجريمة في المرحلة المعاصرة تنكيد المعنويات أو المناكدة اليومية Harcelement والذي يقصد به عدم قبول الآخر والتحاور مع الغير بشكل فيه نوع من الإزعاج والتنغيص، وعدم احترام لغة الآخر وأفكاره،، والصراع الكلامي بين الأنا والآخر، مما شكل نوعا من التكدير الاجتماعي، ويصبح بتكراره واستمراريته عائقا أمام الإبداع الإنساني.

إساءة الطفل ودورة العنف:

يعرف فرج طه، وآخرون (٢٠٠٣: ٨٠) إساءة معاملة الطفل بأنها: "أي تصرف أو تعامل مع الطفل يظهر فيه اعتداء عليه، أو إضرار أو إيذاء بدني أو نفسي له؛ مثل ضربه بشدة وإحداث جراحات أو عاهات (على نحو ما تطالعنا به

الصحف)، أو تشغيله دون سن العمل القانونية، أو الاعتداء الجنسي عليه، أو استغلاله في جرائم ضد القانون (كاستخدامه في الترويج للمخدرات أو نقلها أو بيعها، أو في السرقة أو النصب أو التسول...) أو طرد الطفل من الأسرة للشارع، أو إهماله وعدم الصرف عليه... الخ".

وتؤكد منظمة اليونيسيف للأطفال أن إساءة معاملة الأطفال تقع تحت ما يسمى الأطفال في الظروف الصعبة، وهي ترى أنهم هؤلاء الذين يتعرضون لظروف تضرهم صحياً، جسدياً، نفسياً وتعوق نموهم الطبيعي وهذه الظروف هي عمالة الأطفال، أطفال الشوارع، التخلي أو الإهمال، إساءة معاملة الطفل، التحرش الجنسي، دخول الأطفال في صراعات مسلحة أو كوارث.

كما تشير الإساءة البدنية للطفل Physical abuse إلى تعرضه للضرب، أو لخطر الإصابة الجسمية كنتيجة للعقاب مثل: الحرق والعض ... الخ، ونادرا ما تكون هذه الإصابات مقصودة (يكون قصد الوالدين من معاملتهم الطائشة فرض النظام على الأطفال) ومع ذلك فقد يؤدي استخدام العقاب البدني إلى إصابة الطفل، فيتأثر النمو النفسي للطفل بطرق لا تشاهد لكنها أكثر خطورة، ويوصف الأطفال الذين تعرضوا للإساءة الجسمية من جراء المعاملة القاسية بأنهم أكثر اضطراباً وعدوانية من الأطفال المكافئين لهم في العمر (ديفيد، ٢٠٠٥: ٣٦).

وتعتبر إساءة معاملة الأطفال السبب الأكثر شيوعاً في وفاة الأطفال وخصوصاً في الخمس سنوات الأولى من حياتهم (Cicchetti & Lynch, 1993) والسبب في ذلك هو لجوء الوالدين إلى استغلال الطفل واستخدام العقاب البدني معه لإجباره على أنشطة قد تجلب عليه التعاسة ومن ثمة ظهور أعراض اكتئابية وعدوانية لديه. وقد درس شتاينبرج steinberg ولامبورن Lamborn ودارلنج Darling وموانتس Mounts ودورنبنج Dornbusch (١٩٩٤) النمو لدى

الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ١٤-١٨سنة والذين ينتمون إلى أُسر تستخدم أساليب والدية حازمة، وتسلطية، ومتساهلة ومهملة، على مدى عام كامل، وقد ظهرت الاختلافات والمشكلات لدى المراهقين الذين تربوا في منازل يتجاهل فيها الوالدين حاجات أبنائهم بوجه خاص. وقد حدثت أبز تأثيرات التربية الوالدية المضطربة أثناء الدراسة الثانوية، فقد أظهر هؤلاء المراهقون مشكلات سلوكية ونفسية، وقد أظهروا على مدى عام كامل تدهوراً مستمراً في الأداء، مع أشكال من الإخفاقات في العمل والاتجاه نحو المدرسة، وزيادة في الجناح وشرب الخمور وتعاطي المخدرات.

ويستمر السلوك العدواني، وضبط النفس المنخفض، والعلاقات الاجتماعية المضطربة عبر مراحل النمو لدى الأطفال الذين تعرضوا للإساءة، فيصبح هؤلاء الأطفال أكثر عدوانا وبدرجة جوهرية تجاه أقرانهم. وتعرف العلاقة بين تعرض الفرد للإساءة كطفل وممارسة الإساءة تجاه الآخرين كراشد بفرض "دورة العنف" Cycle of violence hypothesis ويعني أن ضحايا العنف يصبحون من ممارسي العنف، وعندما يصلون إلى مرحلة الرشد يمكن أن تؤدي هذه الاختلالات النمائية الناتجة عن الإساءة للطفل إلى اضطرابات أكثر عمومية وإزماناً، وبوجه خاص اضطرابات المزاج، والسلوك المعادي للمجتمع.

كما أن العقاب والسخرية في الفصل الدراسي من قِبل المعلم يقضي على ثقة التلميذ في نفسه، وينخفض تقديره لذاته، فالتلميذ المضطرب في المدرسة الابتدائية هو ذلك الذي يصبح متمرداً في المدرسة الإعدادية والثانوية. وعموماً فإذا تعرض الطفل لأساليب خاطئة في التربية فإن الطفل يشعر بالوحدة والعجز والاغتراب، ولكي يواجه الطفل هذه المشاعر فإنه يتجه إلى المسايرة الآلية للمجتمع متنازلاً عن فرديته، وقد ينزع إلى التدمير والهدم، وقد يثبت بالسلوك التسلطي بجانبيه السادي والماسوشي (علاء كفافي، ١٩٩٣: ٤٠٥).

وتجدر الإشارة إلى أنه توجد بعض المفاهيم التي تتداخل ظاهرياً مع مفهوم العنف، ولكنها تختلف في جوهرها، مثل العنف والعدوان فهناك نوعاً من الخلط بين مفهومي العنف Violence والعدوان Aggression فالبعض يرى صعوبة الفصل بين العنف والعدوان، على أن مفهومي العنف والعدوان يستخدمان أحياناً على أنهما مترادفان، حيث تعرض نظريات العدوان في إطار الحديث عن العنف أو العكس، ويستخدمها باحثون آخرون بالتبادل بشكل يصعب معه وضع حدود فاصلة بينهما، فهناك علاقة وثيقة بينهما، حيث إن العنف هو نهاية المطاف لسلوك عدواني مستمر. بينما يرى محمد خضر (١٩٩٩: ١٥٦) أن العدوان يمثل بدائرة كبيرة بينما العنف يمثل الدائرة الصغيرة. ويرى آخرون أن العنف والعدوان وجهان لعملة واحدة، وهناك من يرى أن العدوان يعد شكلا من أشكال العنف وذلك حينما يصل العدوان إلى درجة بالغة من الشدة أو عندما تضعف أساليب ضبطه، فإن العدوان يميل إلى الفتك مباشرة بمصدر النقمة، أما إذا استحال الوصول إلى مصدر النقمة فإن العدوان يلتمس هدفاً آخر يصبح بمثابة كبش الفداء.

وفي ضوء ما سبق يرى الباحث أن هناك علاقة وثيقة بين العنف والعدوان، وأن مفهوم العدوان يشمل ويحتوي مفهوم العنف، فالعدوان عندما يصل إلى أعلى درجاته فإنه يتحول إلى عنف أي أنه نهاية المطاف لسلوك عدواني مستمر، وفي ضوء ذلك يمكن النظر إلى العنف على أنه التطرف في العدوان، وأن العدوان قد يكون سلبي وقد يكون إيجابي، فالعدوان السلبي هو استعمال القوة والعنف بدون تبرير، بينما العدوان الإيجابي مثل العدوان كرد فعل للدفاع عن النفس، وفي ذلك يقول تعالى: "وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ [البقرة : ١٩٠].

على أن هناك تداخلاً أيضاً بين مفهومي العنف والغضب. فالغصب انفعال

سيء، غير مريح، يصاحب الرغبة في الاعتداء والتدمير وإنزال الضرر بالآخرين أو بالذات أحياناً. كما أن للغضب مظاهر خارجية تظهر على ملامح الوجه وتغير لونه، واهتزاز بعض أطراف الجسم وضعف السيطرة عليها، ويصاحبه أيضاً تغيرات فسيولوجية تستهدف تهيئة الجسم بالقوة والطاقة اللازمة للاعتداء وإشباع دافع الغضب. ويرى جلال أمين (١٩٩٩: ٩٩) أن الغضب يكون نواة للعنف، حينما يشعر الأفراد بالحرمان والظلم في ظروف تعرض المجتمع للأزمات، وأثناء عمليات الحراك الاجتماعي حيث يتوقع الأفراد الأسوأ في أحوالهم بينما تتحسن أحوال الآخرين في نفس المجتمع دونما سبب مشروع، حينئذ ينشأ الغضب والسخط ورفض النظام القائم ومحاولة اقتلاعه ولو بالعنف.

أسباب العنف:

أ- عوامل شخصية.

تشير بعض الدراسات والبحوث إلى أن الطبيعة الشخصية للفرد لها علاقة بسلوك العنف. حيث إن ضعف الذات وعدم قدرتها على إدراك الواقع الاجتماعي يؤدي إلى عدم الاستقرار والتوازن الانفعالي، فسرعان ما يميل الفرد إلى الغضب والانفعال، وقد يساعد ذلك على زيادة توتره وشعوره باليأس والإحباط، فتهتز ثقته بنفسه وبالآخرين، ويشعر بأن ذاته ليس لها قيمة، فيلجأ إلى العنف لتعويض النقص أو لإثبات الذات. كما أن عدم قدرته على معايشة الواقع والتكيف مع ظروف الحياة قد يدفعه إلى أن يتصرف بعنف ويلجأ لاستخدام القوة استخداماً غير مشروع. وقد ترجع أسباب العنف إلى شخصية القائم بالعنف كأن يكون لديه خلل في الشخصية بمعاناته من اضطرابات نفسية أو تعاطي المسكرات والمخدرات، وقد بينت إحدى الدراسات أن الطلاب الذين ارتبط سلوكهم بالعنف يتسم بناءهم النفسي بالسادية، وميولاً سيكوباتية وإجرامية، ويميلون إلى عدم الانضباط.

Obeikandi.com

وهناك من يرجع العنف والعدوانية إلى غريزة طبيعية فطرية، لا يملك الإنسان لها دفعاً، ولا يستطيع أمامها شيئاً، فهي إما أن تتجه إلى الغير لتدمرهم، أو أن ترتد إلى الذات لتدمرها، ومع ذلك فهذا الفريق ذاته يقدم حشوداً هائلة من الدراسات والملاحظات الثاقبة التي تكشف عن "آليات لمواجهة غرائز الموت" بالإعلاء والتسامي وبالاتجاه بها نحو "عقبات" مصدرها الواقع الخارجي والطبيعة، وعلى الإنسان أن يتصدى لها بالقهر والتطويع والترويض.

ب- **عوامل بيولوجية.**

يركز هذا الاتجاه في تفسير العنف على أن العنف يرجع إلى استعداد فطري موروث في الفرد، ويركز كذلك على بعض العوامل البيولوجية في الكائن الحي التي تحث على العدوان مثل: الصبغيات ، والجينات البيولوجية ، والهرمونات والجهاز العصبي المركزي واللامركزي ، والغدد الصماء ، والتأثيرات البيوكيميائية ، والأنشطة الكهربائية في المخ.

وتشير بعض الدراسات والنظريات إلى أن نوع الجنس يلعب دوراً في مشكلة العنف، فالذكور يميلون للعنف أكثر من الإناث، حيث يرى أصحاب هذه البحوث والنظريات أن الهرمونات الذكرية (الأندروجين) هي السبب المباشر لوقوع العنف بدرجة أكبر بين الذكور (أحمد عكاشة، ١٩٩٣: ٤٢) ويرى محمود حمودة (١٩٩٣: ٢٢) أن الوراثة هي أحد العوامل الهامة المسببة للسلوك العدواني، فشذوذ الصبغات الوراثية يؤدي للسلوك العدواني، حيث يزيد عدد الصبغات إلى ٤٧ بدلاً من ٤٦ ويصبح تميزها الجنسي (xxy) أو (xyy) وقد لوحظ أن السلوك العدواني والمضاد للمجتمع يكثر لديهم خاصة في النوع (xyy) الذي كثر لديه الذكورة التي تجنح إلى السلوك العدواني، ويصاحب العدوان لديهم باضطراب العاطفة ونقص الذكاء.

وهناك مناطق في أنظمة المخ وهي الفص الجبهي والجهاز الطرفي مسئولة عن

Obeikandi.com

ظهور السلوك العدواني لدى الإنسان، وقد أمكن بناء على ذلك إجراء جراحات استئصال بعض التوصيلات العصبية في هذه المنطقة من المخ لتحويل الإنسان من حالة العنف إلى الهدوء أو توجيه تيار كهربائي لهذه المنطقة، كما دلت الأبحاث على أن التنبيهات الكهربائية لأجزاء من الهيبوثلاموس في المخ لها علاقة بالعدوان، حيث وجد أن معظم المجرمين يعانون من رسم مخ شاذ، مما يؤكد الأساس الفسيولوجي للعدوان لدى الإنسان (إلياس زحلاوي، ١٩٨٥: ٦٣).

ج- **عوامل أسرية.**

الأسرة هي الوسيلة الرئيسية في عملية التنشئة الاجتماعية، فمنها يخرج الطفل إلى الوجود، وفي كنفها ينمو ويتشكل لما يمكن أن تكون عليه شخصيته في المستقبل، فعن طريق الأسرة يتشكل نفسيا واجتماعياً، وتتأثر مكوناته النفسية والاجتماعية بالمستوى الاجتماعي والاقتصادي الذي تعيشه الأسرة. ويشير أحمد سلامة وعبد السلام عبد الغفار (١٩٧٢: ١٠٤) إلى أن الإبن الذي ينشأ في جو مُشّبع بالحب والثقة، يتحول عند نموه إلى شخص يستطيع أن يحب ويثق في غيره، لأنه عاش في جو من الثقة مع والديه، أما الإبن الذي ينشأ في جو به حرمان من الحب، فإنه سوف ينمو فرداً أنانياً وعدوانياً، لا يعرف الحب، ولا يستطيع أن ينتمي إلى غيره. ولاشك أن اضطراب الجو الأسري وتفكك العلاقات الأسرية؛ نتيجة انفصال الوالدين، أو الشجار المستمر بينهما، أو التسيب والإهمال، من الأسباب المؤدية للسلوك العدواني والجانح.

وقد أكدت بعض الدراسات على ضرورة الاهتمام بأربعة مؤشرات تنبؤية في السلوك العدواني للمراهقين والسلوك العنيف للبالغين وهي: الحرمان الاقتصادي، وظهور الانحراف بين أعضاء الأسرة، والظروف السيئة للتنشئة الاجتماعية، والفشل الدراسي. ومن بين هذه المؤشرات يمكن أن تكون أحداث الحياة

الباعثة على المشقة ومن ثم الباعثة على العدوان والعنف. ومن العوامل التي تساعد على تنمية السلوك العدواني هو عامل ملاحظة وتقليد الآباء الذين يمثلون نماذج سيئة في الأسرة، وتقود الأولاد إلى اتباع السلوك العدواني في نقد الذات، ونقد الآخرين والشعور بالذنب، إلى جانب التمركز حول الذات، وعدم التمسك بالقيم الخلقية، والهروب من العلاقات الاجتماعية.

وهناك دراسات عديدة أجريت لتوضيح أهم أسباب العنف في مرحلة المراهقة، لعل أهمها دراسة ميليسا وبريندا (٢٠٠٨) Melissa & Brenda بعنوان: دراسة لارتكاب أعمال العنف بين المراهقين. هدفت الدراسة إلى تحديد دور المدرسة في اكتشاف العنف بين المراهقين، ودراسة تاريخ أعمال العنف، وما يمكن تقديمه لخفض حدة العنف، وبخاصة العنف العائلي الذي يعتبر نواة لكل أشكال العنف. تكونت عينة الدراسة من (٧٦٥) فرداً، تتراوح أعمارهم بين (١٦-٢٠) سنة. وقد أشارت نتائج الدراسة إلى وجود ارتباط موجب بين العنف العائلي والعنف بين المراهقين في المدرسة، حيث أوضحت الدراسة أن من يتعرضوا لعنف عائلي هم مثيري الشغب في المدرسة، وتزداد حدة العنف لديهم. كما بينت الدراسة أن دور المدرسة فعال للتخفيف من حدة العنف، وذلك عن طريق البرامج المعدة لذلك والتوعية.

هـ- **الأقران.**

الأقران قد يدعمون السلوك العدواني، الأمر الذي يترتب عليه زيادة احتمالات تكرار هذا السلوك في المواقف المماثلة. فقد لوحظ أنه عندما يقع عدوان على أحد الأطفال من قرين له سواء بالضرب أو الاستيلاء على أحد المتعلقات الشخصية، ويستجيب الطفل للعدوان الواقع عليه بالانسحاب Withdrawal أو الخضوع Submission أو البكاء، تزيد احتمالات تكرار الطفل المعتدي لسلوكه

obeikandl.com

العدواني في التفاعلات التالية. بمعني أن ردود أفعال الضحية تمارس تدعيمها إيجابياً لسلوك المعتدي. أما عندما يرد الطفل على السلوك العدواني بتقديم مدعمات سلبية بأي وسيلة – ولتكن شكوى الزميل المعتدي إلى المدرس، أو استرداد المتعلقات الشخصية، أو الدفاع عن النفس – فهنا تزداد احتمالات قيام المعتدي بتغيير الضحية وتوجيه العدوان إلى طفل آخر، وبتكرار نمط التفاعل نفسه تقوى الميول العدوانية لدى الطفل الضحية حتى تشجعه على المبادرة بالهجوم والاعتداء على زملائه (أسامة أبو سريع، ١٩٩٣: ٧٥).

كما أن دور الجماعة من العوامل الهامة في نشأة العنف، فالفرد الهادئ يتحول إلى فرد عنيف تحت تأثير سيكولوجية الجماعة، وأقرب الأمثلة على ذلك ما يحدث في مباريات كرة القدم من عنف غريب عن طبيعة الشخص نظراً لتواجده في هذه المجموعة المتحمسة، فتحت تأثير الجماعة يقل التفكير المنطقي، وتبتعد القوى الاجتماعية التي تتحكم في العدوان ومن ثم تظهر جميع الاندفاعات العدوانية المكبوتة باتجاهاتها المختلفة ناحية التحمس والعنف، فأي عمل فردي عنيف ينتشر بين الجماعة، والعنف يولد العنف، وكذلك فمشاهدة العنف تخدم كمؤثر في انتشار ظاهرة العنف (أحمد عكاشة، ١٩٩٣: ١٩٢).

و- المستوى الاجتماعي الاقتصادي للأسرة.

ربما كان العامل الاقتصادي من أهم العوامل التي تؤثر في المعاناة والضغوط التي تعيشها الأسرة. ويتمثل الوضع الاجتماعي الاقتصادي بالوظيفة التي يشغلها الأهل والدخل السنوي، ومستوى التحصيل الدراسي. فعدم توفر الحاجات المادية الأساسية يؤدي إلى مضاعفة معاناة الأسرة عند تعرضها لمشكلة ما، فالوضع الاجتماعي الاقتصادي للأسرة يؤثر في طريقة قيامها بوظيفتها. إذ توضح معظم البحوث أهمية الترابط بين الحالة الاجتماعية الاقتصادية ومقدرة الأسرة وكفاءتها. حيث يرى فؤاد

البهي السيد (١٩٩٣: ٦٥) أن التنشئة الاجتماعية تصطبغ باختلاف المستوى الاجتماعي والاقتصادي للأسرة، ففي المستويات الاقتصادية والاجتماعية الدنيا تتسم التنشئة بالطاعة التي يبالغ الأب في فرضها على أبنائه، ونجد أن تلك التنشئة تصطبغ في المستويات الاجتماعية المتوسطة بالمحافظة على العادات والتقاليد، وتعويد الأبناء على ضبط النفس، كما يلجأ معظم الذين ينتمون للمستويات الاجتماعية والاقتصادية الدنيا إلى العقاب البدني في تنشئتهم الاجتماعية لأطفالهم، بينما يقل ذلك في المستويات الاجتماعية والاقتصادية المتوسطة، مما يؤثر على الأبناء ويكسبهم صفة العنف.

ويوضح عماد مخيمر (٢٠٠٨: ٤٤) أن الفقر وعدم كفاية الدخل يؤثر على المجتمع والأسرة والأفراد، فمن ناحية المجتمع فإن المجتمعات التي لا توفر الحد من متطلبات الحياة الأساسية لأفرادها تظل هذه المجتمعات في حالة تهديد مستمر وكأنها تعيش على حافة الهوية من توقعها (للعنف والتمرد والاضطرابات النفسية والإدمان..الخ)، ومن ناحية الأسرة فإنه يؤثر على أفرادها من الناحية الانفعالية والاجتماعية والجسمية والأخلاقية، وقد اختلف علماء النفس الذين تناولوا التأثيرات المختلفة للفقر والضغوط الاقتصادية في تسمية هذه الضغوط، إلا أنهم اتفقوا على أن للفقر تأثيرات سلبية متعددة.

ز- ألعاب الكمبيوتر العنيفة.

حيث يتعلم من خلالها الأطفال والمراهقون فنون اللعب التي تقدم لهم أنماطاً مختلفة من الأسلحة والمغامرات وصور القتل والدمار، وكل ذلك يمنح اللاعب الشعور بالقوة والقدرة على التغلب على الخصم داخل اللعبة، كما أن الموسيقى الصاحبة والأصوات والمناظر التي تصاحب اللعبة تجعل الأمر أكثر تشويقاً وتكمن المشكلة في مبدأ المكافأة وتعزيز السلوك الذي تمنحه اللعبة، إذ يشجع الفرد على الأفعال

العدوانية، أي أن الفرد الذي يجيد العنف هو الذي يفوز في النهاية. ويذكر مشعل القدهي (٢٠٠١) أن تكنولوجيا الكمبيوتر والإنترنت بها الخير الذي يفيد الإنسان وبها الشر الذي يضره ويؤذيه، ومن أهم شرور هذه التكنولوجيا هي المواد الإباحية التي تحتل مساحات وفيرة على شبكة الإنترنت، ويترتب على ذلك العديد من المشكلات التي تتعلق بزيادة سلوك العنف لدى الفرد، وتقبل جرائم الاغتصاب والعمل على القيام بها، وانهيار قيم وأخلاق المجتمع. ويرى وعد الأمير (٢٠٠٤) أن ممارسة الألعاب الترفيهية على الكمبيوتر والإنترنت لا مشكلة فيها، لكن المشكلة هي إدمان هذه الممارسة عبر الإنترنت والكمبيوتر، حيث تعد أهم العوامل المؤدية لإدمان الكمبيوتر والإنترنت لدى المستخدمين، وقد انتشرت هذه الألعاب بشكل كبير في الفترة الأخيرة بسبب إغراق السوق بها ورخص أسعارها وتنوعها، ويرجع إدمان المراهقين لها وتعلقهم بها إلى التحدي الموجود بها ومحاكاتها للطبيعة وارتباطهم بشكل أو بآخر بأفلام الرسوم المتحركة في قصصها وأجوائها وشخصياتها، مما يؤدي إلى تعلق المراهقين بها أكثر من غيرها من الألعاب.

وقد بينت دراسة فريزجوف وآخرون (٢٠٠٨) Frithjof, M, et al بعنوان: دراسة تجريبية لمعاناة العنف في ألعاب الفيديو جيم. وقد هدفت إلى معرفة العلاقة بين ألعاب الفيديو جيم العنيفة وبعض الأمراض الناتجة عن ذلك مثل أمراض القلب والأوعية الدموية. تكونت عينة الدراسة من (٤٢) شاب ممن يقضون أقل وقت لهم في ألعاب الفيديو جيم عشرون دقيقة، حيث تتراوح هذه الألعاب بين العنف المنخفض والمرتفع. وقد أشارت النتائج إلى ارتفاع معدل التنفس، وزيادة دقات القلب أثناء اللعب والتعامل مع العنف في ألعاب الفيديو جيم، كما أوضحت نتائج الدراسة أن معدلات العنف تزداد بالاستمرارية في مثل هذه الألعاب.

ح- دراما العنف والإثارة.

إن ما يقدم من أعمال درامية في السينما والتليفزيون تكثر بها مشاهد العنف، وبدراسة تأثير عرض الأفلام العنيفة في التليفزيون ثبت أنها توقظ لدى الشباب النزعة إلى العنف، خاصة وأن بعض الأفلام تثير فيهم العدوانية وبعضها ممزوج بالإثارة الجنسية، وبرؤية الفرد دوماً لهذه الأفلام يندمج في طريق الجريمة، وتحت سيطرة تأثير هذه الأفلام، ورغبة من الشباب في التقليد تحدث كثير من الجرائم. ومن هنا قامت اللجنة القومية للوقاية من العنف والإجرام في فرنسا بإنشاء لجان برمجة تشرف على موضوعات الإرسال التليفزيوني فلا تسمح بعرض الأفلام الموحية بالعنف.

إن البيئة العنيفة تمثل مخاطر على الأطفال، وخاصة وجود جيل من الأطفال نشأ في مشاهدة العنف التليفزيوني، ولعل تقرير المعهد القومي للصحة العقلية National Institute of Mental health الذي مكث عشر سنوات لدراسة العلاقة السببية بين العنف التليفزيوني والسلوك العدواني، وانتهت الدراسة إلى أن المشاهدة تزرع اتجاهات سلبية في المشاهدين، ووجود علاقة موجبة بين المشاهدة والعنف. وقد بينت الدراسات العلاقة بين أفلام العنف واتجاه الأفراد نحو العنف، فكانت دراسة سهير صالح إبراهيم (١٩٩٧) بعنوان: تأثير الأفلام المقدمة في التليفزيون على اتجاه الشباب المصري نحو العنف. تكونت عينة الدراسة من (٤٠٠) فرد من الشباب، يتراوح عمرهم بين (١٨–٣٥) سنة من الذكور والإناث. وقد توصلت الدراسة إلى أن الذكور أكثر تفصيلاً لمشاهدة أفلام العنف من الإناث، كما كشفت عن وجود علاقة ارتباطية بين معدل التعرض للعنف في الأفلام واتجاهات الشباب نحو العنف، علاوة على أن الذكور أكثر اتجاهاً نحو العنف من الإناث.

ط- انتشار المخدرات.

كما أن للمخدرات تأثير على وعي الأفراد وسلوكياتهم، فإنها تؤدي إلى انهيار

القيم وتبلد العواطف وانعدام الإحساس بالمسئولية الاجتماعية والعائلية، وتضعف إرادة المتعاطي ويتحول إلى شخص عصابي المزاج، غير قادر على التجاوب مع الآخرين أو تحقيق الانسجام الاجتماعي، وتؤدي به في نهاية المطاف إلى ارتكاب الجريمة في حق نفسه وفي حق المجتمع.

ويرى البعض أن الكحوليات لها آثارها السلبية في اندفاع الأفراد نحو الانحرافات وارتكاب الجرائم، ولذلك فقد لوحظ أن العديد من الجرائم التي يرتكبها الشباب ناتجة عن دوافع أثر المخدرات، ولقد تأكد أن تعاطي المخدرات يدفع التلاميذ إلى ممارسة العنف. وقد أثبتت الإحصائيات المختلفة أن الخمر يلعب دوراً هاماً في نشأة العنف، وأن نصف جرائم العنف مصحوبة بشرب الخمر، وقد قيل إن الأنا الأعلى قابل للذوبان في الكحول وهنا يتجمد النقد الذاتي، ويفقد الفرد القدرة على التحكم في ذاته، فالخمر والعنف من الوسائل المعروفة التي يلجأ إليها الفرد لحل صراعاته النفسية لأنهما يساعدان على تفريغ التوتر الذي لم يجد طريقة أخرى للتعبير عن شدته (أحمد عكاشة، ١٩٩٣: ١٩٣).

ي- أسباب مجتمعية.

كالعنف المنتشر والأحداث العربية والعالمية التي تنتقل عبر الفضائيات والإنترنت، فالتغيرات التي تحدث في المجتمع الكبير تنتقل وبشكل غير مباشر إلى المجتمعات الصغيرة.

مظاهر العنف:

العنف ينقسم إلى عنف بدني وعنف نفسي. الأول يشير إلى الاعتداء على النفس والممتلكات بالقوة ودون وجه حق، والثاني يشير إلى التحقير والاستهزاء والتسلط والاستبداد وإلغاء شخصية وإنسانية الآخر وبرامج غسل المخ وإلحاق الأذى النفسي بالغير بآليات مختلفة. ومن مظاهر العنف أيضاً سلوك العنف الموجه ضد

الذات، وهو الإيذاء الشخصي أو انتقام الفرد من ذاته، ويحدث هذا عندما يستخدم الفرد أسلوب العنف مع نفسه، مثال ذلك الإقدام على الانتحار أو تعاطي المسكرات أو إدمان المخدرات.

وينتشر سلوك العنف بمظاهره المختلفة بين طلاب وطالبات المدارس الثانوية، ويحتل هذا السلوك مرتبة متقدمة من بين جملة المشكلات السلوكية التي يعاني منها الطلاب والتي تعوق العملية التربوية والعملية التعليمية، حيث تعترض المشكلات السلوكية طريق العملية التعليمية ويتضح آثارها على التفاعل بين الطلاب بعضهم البعض، وبينهم وبين سائر عناصر المجتمع المدرسي، ومن أكثر هذه المشكلات شيوعاً مشكلات الهروب من المدرسة والكذب والسرقة والعدوان على الزملاء والمدرسين وخرق النظم المدرسية. تلك المشكلات التي يمكن تصنيفها في إطار سلوك العنف والتي أصبحت تمثل أهم التحديات التي تواجه المجتمع المدرسي لكونها أكثر المشكلات شيوعاً بين طلاب المدارس.

ويشير التقرير الاستراتيجي العربي (١٩٩٩: ٣٣٣) إلى أن أخطر ظواهر العنف المجتمعي في العام ١٩٩٨ هي انتشاره في أوساط طلاب الجامعات والمدارس الثانوية والإعدادية، حيث تؤكد إحصاءات إدارة شرطة الأحداث زيادة عدد الأحداث (١٥-١٨ سنة أي في الفئة العمرية لتلاميذ المرحلة الثانوية) الذين صدرت ضدهم أحكام مقيدة للحرية بنسبة تصل إلى ١٠٠% خلال الفترة من ١٩٩١ إلى ١٩٩٧. كما حذرت دراسة صدرت عن المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية من ازدياد العنف في المدارس الثانوية، ودعت إلى مراجعة جادة للنظام المدرسي.

ويشير المركز القومي للإحصائيات التربوية بالولايات المتحدة الأمريكية National center for education statistics (١٩٩٨) إلى تكرار مؤشرات العنف المدرسي في المدارس الإعدادية والثانوية إلى (١٢٤٣) جريمة عنف

لكل (١٠٠٠٠٠) طالب. كما يشير المركز القومي العالمي لمواجهة العنف المدرسي National crime prevention council (٢٠٠٣) إلى أن العنف المدرسي كالبركان، ولا توجد مهارات علمية لدى المعلمين للتنفيس عنه، وقد وصل الأمر إلى وجود أسلحة نارية داخل جدران المدارس، بالإضافة إلى انتشار أسلحة حادة مع التلاميذ.

وتشير إحصائيات المركز القومي التربوي إلى زيادة العنف المدرسي، حيث وصلت ضحايا العنف المدرسي عام ١٩٩٨ إلى ٧,٢ مليون جريمة مدرسية تتضمن (٢٥٣٠٠٠) حالة من الأفعال العنيفة مثل: الضرب، والسرقة، والتحرش الجنسي، والاغتصاب ... الخ، وبلغت حالات الوفاة (٦٠) حالة، كما تشير الإحصائيات إلى ضحايا العنف المدرسي من المعلمين إلى ١,٧ مليون جريمة عنف فيما بين عامي (١٩٩٣-١٩٩٨) (Anta Zeira et al, 2004).

ويعد العنف المدرسي بأشكاله المختلفة أحياناً استمراراً للعنف الأسري بخاصة والمجتمعي بعامة، حيث يأتي الأطفال إلى المدرسة ولديهم خبرات عن العنف، ويمكن القول أن أكثر من نصف حالات العنف الجسدي ضد الأطفال في البيئة الأمريكية تمت من قِبل الوالدين تجاه الأبناء وخصوصاً الذكور، وكذلك الأبناء الأكبر سناً.

لقد انتشر العنف بشكل واضح حيث وقعت أكثر من ١٧٥٠٠ جريمة قتل بحق نساء وأطفال بين عامي ١٩٦٧ و١٩٧٣م، ارتكبها رجال يمارسون العنف العائلي، ٦٠% منها وقعت في الولايات المتحدة الأمريكية حيث يرتكبها الزوج أو الصديق، إلا أن عام ١٩٩٤ شهد أربع ملايين واقعة عنف عائلي وقد كانت ٢٠% من تلك الحوادث قد أدت إلي إصابات بليغة (أليسا دلتافو، ١٩٩٩: ٩) وظاهرة العنف شأنها شأن غيرها من الظواهر الاجتماعية التي تحتاج إلي معرفة حجمها الحقيقي والوعي بالعوامل الموضوعية لفهم الظاهرة وتحليلها، وكذلك الوعي بنمط

obeikandi.com

الحياة المعيشية حتى يمكن تحليل الظاهرة من سياقها المجتمعي للوقوف علي مسار تطورها، والكشف عن أسبابها حتى يتسنى العمل علي الحد من انتشارها.

العنف والمقامرة:

المقامرون المرضيون في مرحلة المراهقة غالباً ما يكون لهم تاريخ مع الجناح Delinquency وأن سلوكهم يتصف بالإجرام، وقد أكدت الدراسات على وجود علاقة دالة إحصائياً بين سلوك المقامرة والعنف المفرط، وأن السلوكيات المصاحبة للمقامرة هي التدخين، وتناول الكحول، والعنف المباشر (Chalmers, 2004)، كما أثبتت الدراسات أن المقامرة المرضية أدت إلى زيادة الانحراف والجريمة، وفي دراسة لمعرفة أثر ممارسة القمار على أبناء المقامرين أشارت النتائج إلى أن مستوى ممارسة العنف بين طلبة المدارس الثانوية الذين ينتمون لأسر يُمارس فيها القمار كانت أعلى بكثير بالمقارنة مع زملائهم الذين ينتمون لأسر لا يُمارس فيها القمار (Henry & Jerome, 2005).

obeikandl.com